Diyala Journal For Human Research

Valum 4 Issue96- 2023

مجلة ديالى للبحوث الإنسانية

المجلد الرابع العدد 96 لسنة 2023

djhr.uodiyala.edu.iq

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

IRAQI Academic Scientific Journals

توظيف مظاهر البيان في سياق خطب السلطة العباسية

Setting the Manifestations of the Eloquence in the Context of the Sermons of the Abbasid Authority

أ. م. د. باسم محمد إبراهيم زينب علي ثعبان

Author Information

Assist. Prof. Bassim Mohamed Ibrahim (Ph.D.)

Zainab Ali Thuaban

University of Diyala
College of Education for Humanities

Author info

basem.moh@uodiyala.edu.iq

zaineb.95@uodiyala.edu.iq

Article History

Received 2/10/2022

Accepted: 23/10/2022

Keyword: recruitment, statement, Authority:

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص

CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

Abstract:

My research paper is entitled (The Employment of Manifestations of the Eloquence in the Context of the Sermons of the Abbasid Authority), came to discuss this model of the sermons that were common at that time. These sermons were in the form of commands, prohibitions and great exhortations from the ruler to the ruled people, or from the Caliph to the citizens , and then they were explanatory representations. These explanatory representations appeared in three types of eloquence, namely: (similarity, reciprocal relationship, and contiguous relationship). Then the preacher had means, which we already mentioned, these means, through which the preacher explains the meaning, and shows his ideas. Then it gives the direct speech, which was a feature of the preacher in this type of sermons, an explanatory manifestation, a condensing feature, an imagination and excitement for the recipient. Hence, the explanatory manifestations came to reach this intention, which is the effect on the recipient. As the direct speech is not effective unless it did not include the manifestations of the eloquence that we mentioned. Then, these manifestations came to be employed by the preacher in his sermons that make these sermons influential, strong and convincing until they reach the point of persuasion in the recipient, even though they are polished in an artistic cover, which has the elegance and aesthetic that causes the recipient to be affected.

Diyala Journal For Human Research
Valum 4 Issue96- 2023
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الرابع العدد 96 لسنة 2023
djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

المقدمة

تُعد علاقة المُشابهة والاستبدال والمُجاورة من أبرز العلاقات الأسلوبية البيانية الدالة على المعنى البليغ، الذي يظهر في ثنيّات سياق الخطبة العباسية السياسية، بوصفها المثال الأظهر الذي ظهرت معه أفانين القول وأساليب الخطاب، ولعل المتأمل في صورها الفاعلة يجدها قائمة على الانزياح في التعبير عن المعنى في السياق، ومناسبة الخطبة وأهدافها ومقاصدها، وبما أنّ دعوى الصورة الاستعارية قائمة على الاتحاد، اتحاد صفة المشبه مع المشبه به أو المستعار له مع المستعار منه، فقد جاءت دلالتها أقوى من صورة المشابهة في مواضع من السياق في بيان مقاصد الخطيب، وكذا الحال مع صورة المُجاورة وليس يدلّ ذلك بعدها على الحكم بأفضلية صورة الاستبدال على المشابهة، وإنما يحكم ببلاغة كل منهما في موضعه الذي يطلبه ويقتضيه، وكما قيل فإنّ لكلّ مقامٍ مقالًا، ومن هنا جاءت الدراسة لتسليط الضوء على القيم الايحائية والتخييلية لصورة الانزياح، التي قامت على الاستدلال أو المُجاورة في سياق الخطبة العباسية التي احتوت المضامين السياسية الهادفة.

المشابهة:

التشبيه في اللغة: ((الشّبهُ والشَّبهُ والشَّبيهُ: المثِلُ، واشبه الشيءُ الشيءَ: ماثله، ويقال: شبَّهتُ هذا بهذا، وأشبه فلانَ فلانا. والشّبْه والشّبَهُ: النحاس يُصنع فيصفرُّ، وسمي النحاس به لأنّه إذا فعل به أشبه الذهبَ بلونه، والتشبيه مصدر من شَّبه)).[(i)]

هذا المعنى اللغوي للتشبيه يشير إلى وجود طرفين بينها وجه شبه واحد أو أكثر، يثير حواس المتلقي ليقعد مقارنة بينها، والتشبيه على هذا الوصف يقتضي عدم تشبيه الشيء بنفسه ولا بغيره من كل الجهات، فالشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما اختلاف اتحدا فصار الاثنان واحدًا[(2)]، ((أما المعنى البلاغي للتشبيه فلا يخرج عن المعنى العام المذكور آنفًا، ولكنّ شاع للتشبيه في كتب البلاغة أنّ للتشبيه أربعة أركان هي (المشبه والمشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه)، فطرفا التشبيه أما أن يكونا حسّيين، والحِسّي هو ما يدرك بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، أو عقليين والعقلي ما لا يدرك بالحس بالعقل، أو أن يشبه المعقول بالمحسوس أو المحسوس بالمعقول)).[(3)]

كما و((يُعدُّ التشبيه أحد الأساليب المهمة في التقديم الحسي للمعنى أو لتخزين الدلالات المتعددة في النص، فالخطيب من خلال علاقات المشابهة يجمع بين التعبير عن انفعالاته ومشاعره، فالتشبيه في حقيقة الأمر يعتمد علاقات المقاربة أو المقارنة بين طرفين متمايزين شريطة وجود قرينة أو صفة يشتركان بها تعكس مدى الصلة بينهما، إذ تقوم علاقات المشابهة أصلًا على أساسين هما الحس والعقل، فلا يحدث داخل التشبيه تجاوزًا مفرطًا في دلالة الكلمات بحيث يتبادل طرفا التشبيه مواقعهما)).[(4)]

djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

للتشبيه روعة وجمال، وموقع في البلاغة، وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعه ووضوحًا ويكسوها جمالًا وفضلًا، فهو فن واسع النطاق.[5]

أو يكون التشبيه بيانًا، أي أنّ شيئًا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، أو يكون بأداة لغرض يقصد المتكلم.[6]

وتأتي العرب بالتشبيه على أربعة معانٍ هي الافراط في الوصف، أو مقاربة الشيء بشيء آخر، أو إصابة المعنى للمعنى، أو تشبيه غامض يحتاج من المتلقي أو الناقد إلى تفسير وذلك تبعًا للمعنى المرتبط بهذا التشبيه.[7]

ومن شواهد التشبيه ما ورد في خطبة أبو العباس السفاح (ت136هـ) وقد بُويع بالخلافة سنة (132هـ)، فقال: **((وجعلنَا أهله وكَهْفهُ[8]، وحِصْنِه والقوام به، والذابيّن عنهُ، والناصرين له. والزمنا كَلمِةَ التَّقْوَى، وجعلنا أَحَقَّ بها وَأَهْلَهَا)).**[9]

إذ يبدو جليّا كيف يتوهج التشبيه في طيات الخطبة، فالخطيب يتحدث في هذا النص عن الإسلام، ويتحدث أيضًا عن اختيار الله سبحانه وتعالى للعباسيين من دون غيرهم من سائر البشر ليكونوا حفاظًا على الدين، شبههم بأنهم كالكهف الذي يأوي إليه الدين، بل هم كالحصن الذي يتحصن به الدين، وقد اتى السفاح بهذا التشبيه ليدفع المتلقي لتأمل هذه العبارة البيانية، والتأثر بما فيها من التمثيل البياني على التشبيه للوصول إلى إقناعه فإنّ الكهف هو موئل المخافة، والحصن هو السبيل إلى التمنع عن الأعداء، فجعل الإسلام لائذًا متمسكًا بالعباسيين من دون غيرهم من الناس، ونلاحظ هناك عقد صورة للتشبيه بغير أدوات المعروفة وإنما بفعل التحويل (جعلنا) فالضمير (نا) يعبر عن المشبه وقوله (أهله وكهفه) هو المشبه به وهي صورة بليغة من التشبيه المجمل الذي شكل حذف الوجه معاني كثيرة اثرى بها ذهن المتلقي مثلت مدى صلتهم به من جهة التأمين ومنزلتهم العظيمة في نفسه ونلاحظ قدرة الخطيب على هذا التشبيه دليل على امتلاكه زمام البيان وقوة الإفصاح والبلاغة.

ومن شواهد التشبيه ايضًا ما جاء في خطبة أبو العباس السفاح: **((يأهل الكوفة، أنتم مَحَلّ محبتَّنا، ومنزِلْ مودَّتنا، أنتم الذين لم تتغيَّروا عن ذلك ولم يَثْنِكم عن ذلك تعاقلُ أهل الجوْر عليكم)).**[10]

لا شك في أنّ الخطاب يكتسب قيمة حجاجيّة مضاعفة من مكانة البيان، فكلما كانت منزلته سامعة كان تأثيره اشد في نفس المخاطب ووجدانه، إذ أنّ الاعتقاد المسبق بالخطيب ينتج فيما ينتج من قوة ضاغطة على النفس ونرى في خطبة أبي العباس هذه وردت صورة التشبيه البليغ إذ قال (يأهل الكوفة، أنتم مَحَلّ محبتَّنا، ومنزِلْ مودَّتنا)، فجاء الخطيب معبرًا بالضمير أنتم عن المشبه وقوله (محل قصد المحبة) و(منزل قصد المودة) على أنّه المشبه به وكأنّه يجعلُ منهم المحبوب الأول، والملجأ الأمثل أتى بهذا التشبيه للدلالة على استقرار هذه المشاعر (المحبة والمودة) في نفس العباسيين تجاه أهل الكوفة، واستمالهم بهذه العبارة البيانية البليغة، وهذا التشبيه لون من ألوان ضرب المثل، بمعنى أنّه يحمل في ثناياه قصدًا إقناعيا يسعى المتكلم للوصول إليه عند المتلقي وهو ما تم للسفاح عبر هذه العبارات اللغوية البيانية البليغة.

djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

وكذلك ما جاء في خطبة أخرى له بالكوفة في الجمعة الثانية فقال: **((ولأعطينَّكم حتى أرى العطيةَ ضَياعًا، إنّ أهل بيت اللعنة والشجرة الملعونة في القرآن، كانوا لكم اعداءً، لا يرحمون معكم من حالة إلا إلى ما هو أشد منها))**.[11]

إذ يرتكز الخطيب في خطابه الحجاجي على افتراض مُسبق يدور حوله اتفاق جمعي من لدن السامعين فقال: (ولأعطينَّكم حتى أرى العطيةَ ضَياعًا) جاءت هذه العبارة التشبيهية في خطبة السفاح مخاطبًا بها الناس بعد بيعته أنّه يعدهم بمزيد من الأعطيات حتى يرى العطية ضياعًا، فشبه العطية بالضياع ولكنّه لم يذكر وجه الشبه ولا أداته، فهو تشبيه بليغ.

ومن مواضع التشبيه، ما جاء في خطبة المهدي ابن أبي جعفر المنصور، إذ قال: **((فإنّ الدُنيا دار غرور، وبلاء وشرور واضمحلال وزوال، وتقلّب وانتقال))**.[12]

يشبّه الخطيب في هذا النصّ من الخطبة الدنيا بالدار، وهو المكان الذي يسكنه الناس ويعيش فيه، فالدنيا دار، وهو تشبيه يقصد منه تقريب صورة الحياة الدُنيا من المُخاطب، وقد أتى الخطيب بهذا التشبيه عبر الصورة البليغة التي حُذِفت منها الأداة، ووجه الشبه، وهو نمط تشبيهي كثيرًا ما يتكرّر في نصوص خطب الخلفاء في هذا العصر، إذ رأيناه عند من سبق المهدي،وسنراه عند غيره من اللاحقين، ويتابـــع المهدي قوله: **((عِزّها ذُلٌّ، وغِناها فَقر، والسعيد منْ تركها، والشقي فيها من آثرها))**.[13]

يبني المهدي صورته البيانية في هذا الجزء من الخطبة على التشبيه، وهو تشبيه بليغ، فقد شبّه العز في الدنيا بالذل، وشبّه الغنى بالدنيا بالفقر، وهما متناقضان، وإنّما أراد الخطيب ان يأتي بهذه الصورة التشبيهيّة ليوصل إلى المتلقّي رسالة مفادها أنّ الدنيا متناقصة في طبيعتها، فعزّها كالذل مهما كان رفيعًا، وغناها كالفقر مهما كان كثيرًا، وهذا هو مناط الحرص من الدنيا، وعدم الانقياد لها، وقد أتى الخطيب بهذا المعنى ضمن تشبيه بياني بليغ، حُذفتْ منه الأداة ووجه الشبه، وبقي المشبّه به دالّين على المعنى الذي يريده المتكلّم.

ومن هذا فقد عُني الخلفاء العبّاسيون بالتشبيه في خطبهم المختلفة، بقصد الإقناع والتأثير في المتلقّي، ورفد المعنى بأنواع جمالية بيانية، قادرة على لفت انتباهه، وجذب ذهنه إلى ما يقصد الخطيب في خطبته.

ومن خلال الشواهد التي مرّت علينا نجد انّ الخلفاء العباسيين قد اعتنوا بالتشبيه البليغ عناية بالغة؛ لأنّه يُعدّ أرقى ألوان التشبيه، وأسمى أنواعه، ولم يكُن هناك حضور للتشبيه التمثيلي مثلًا، أو التشبيه الضمني، وغير ذلك، ويعود السبب في اعتقادي إلى كون هذه الأنواع من التشبيه تحتاج إلى عناية من المتلقي، حتّى يستوعبها، وتترسّخ فكرتها في ذهنه، ومن ثمّ فإنّ موقف الخطبة يحتاج إلى مباشرة في العبارات، وعدم الإغراق في البيان، حتّى لا يستغلق ذلك على فهم العامّة، في حين قلّت المواضع التي اشتملت على اثنين باثنين، بل كانت أكثر المواضع تشبيه شيء بشيء آخر.

وكذلك خطبة أبي جعفر المنصور بمدينة السلام (بغداد)، إذ قال: **((يا عباد الله لا تَظالَموا، فإنّها مَظلمةٌ يومَ القيامة، واللهِ لولا يدٌ خاطئة، وظلمُ ظالمٍ لمشيتُ بين أظهركم في أسواقكم))**[14].

Diyala Journal For Human Research
Valum 4 Issue96- 2023
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الرابع العدد 96 لسنة 2023
djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

الخطيبُ عازمٌ على إثباتِ حقيقة عدل، ونُصحٍ للعباد بتجنّب المظالم، وإرشادهم إلى العدل في المعاملات، إذ قال: (يا عباد الله لا تظالموا)، إذ نرى أنّ الخطيب هنا شبّه الظُلم بالمظلمة، والظُلم العتمة وانقطاع النور، والهداية من القلوب، وهي صورة التشبيه البليغ، (فإنّها مظلمة)، فالهاء والضمير يعود على الظلم، في إثراءٍ لذهن المتلقّي، بدلالة الجزاء، ووخيمته يوم القيامة، وبهذا نقل الخطيب السامعين من الإيمان بالقيم المعروفة، إلى الأخذ بها والاعتراف بصحّتها، والإقرار بحقائقها، وهذا لا يتحقق إلّا لِمن يعي طبيعة عقول المُخاطبين، وبناءها النفسي.

ومن شواهد التشبيه أيضًا، ما جاء في خُطبة خالد بن صفوان، وروى الحَصْري في (زهر الآداب)، قال: ((دخل خالد بن صفوان على أبي العبّاس السفّاح، وعنده أخواله من بني الحارث بن كعب، فقال: ما تقول في أخوالي؟ فقال: **هُم هامةُ**[15] **الشرف، وعرنينُ**[16] **الكرم، وغرسُ الجُود، إنّ فيهم خصالًا ما اجتمعت في غيرهم من قومهم؛ لأنّهم أطولهم لَممًا**[17]**، وأكرمُ شِيَمًا**)).[18]

يتحدّث الخطيب عن جملة من الفضائل والمناقب لبني الحارث بن كعب، فإنّهم خير الناس، وأشرفهم حسبًا، وهي صورة من صور المبالغة في الوصف، والإيغال في التشريف، لأولئك الأخوال، ممّا يعود الفضل على أعمام بني العبّاس قاطبةً، وبالغ أيضًا في وصفهم بأنّهم رأس كلّ قوم، وإنْ شرفوا فهم الغاية والنهاية في الوصف، وكذا الحال في عرنين الكرم، أي أنف الكرم، فهي صورة المجد في أعلى قرابتها، وأسمى غاياتها، ومنابت الجود وأصله.

نفهم من كلّ ما سبق ذكره من التشبيهات أنّ المُشابهة عند الخُلفاء في العصر العباسي تتميّز بقوّة العاطفة، التي تؤثّر في عباراتهم تأثيرًا واضحًا، ويبدو ذلك في الكلمات والصور والتراكيب، فضلًا عن ورود الحقيقة؛ لأنّها كانت تسند العاطفة، وتبعث فيها القوّة، ولمّا كانوا يمثّلون الشيء بالشيء، فإنّما يقصدون به إثبات الخيال في النفس بصورة المُشبّه به، أو بمعناه، فعندما يدعون إلى الترغيب، ينتقون صورة المُشبّه أحسنَ من صورة المُشبّه به؛ لانّ ذلك يُثبت في النفسِ خيالًا حسنًا، والعكسُ صحيحٌ في التنفير.

ابتكر الخلفاء العباسيون من خلال التشبيه صورًا أصلية، مُزجت بالمشاعر والأحاسيس، واتحاد الفكرة مع الشكل، إذ ربطوا ذلك التشابه الحسّي بجوهر الشعور والفكرة في الموقف، وكلّ المعاني التي أرادوا التعبير عنها، أو التشبيه بها ـ حسّية كانت أو مجرّدة ـ جاءت صادقة أغلب الأحيان، وقد عكست أبعادهم النفسيّة ومشاعرهم، ومن ثمّ كانت غاية في الإبداع والتصوير، وكلّ ما عبّروا عنه كان ذا قدرة على الإيحاء، وكانوا يصلون فيه إلى جواهر الأشياء، إذ كانت الأفكار والمضامين واضحة وبارزة، على الرغم من الظروف العصيبة التي كانوا يمرّ بها خُطباء العصر العباسي.[19]

الاستبدالية:

تبوّأت الاستعارة منزلة كبيرة، في حقل الدراسات البلاغية؛ لِما تؤدّيه من فعالية في تشكيل الخطابات، وهيكلة أنسجتها، وتحقيق جماليتها، بوصفها أهم تقنيّات التصوير في الكلام، فقد أحسّوا بما لها من قُدرة على الإيحاء والتخييل، فقدّموها على أبواب المجاز، إذ هي ((أفضل المجاز، واوّل أبواب البديع، وهي من محاسن الكلام، إذا وقعت موقعها، ونزلت موضعها))[20]، وفي المقابل ظلّ

djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

الإشكال حول الاستعارة، إذ وقف العرب إزاءها موقف المُتراوح، ما بينَ (مدٍّ) بوصفها جنسًا جامعًا تتشذّر عنه بقيّة الصور الأخرى، و(جزر) إذ تنحصر وتضيق مداراتها، فتنحدر إلى دركٍ أسفل، بحيث لا تمثّل سوى نفسها، ولمّا كانت الاستعارة شديدة الوثاق بالإعجاز القرآني، حظيت باهتمام بالغ لدى اللغويّين والنقّاد والبلاغيين، غير أنّ طرائق تمثّلها قد تفرّقت بهم في دراستها وتقديرها، وإنْ كانت نظرة نقّاد القرن الرابع الهجري كابن طباطبا العلوي (322ه)، وقدامة بن جعفر (ت337ه)، والآمدي (ت371ه)، والحاتمي (388ه)، تكشف عن ذلك التواضع حولَها، على حدّ ما أبان عنه جابر عصفور، والتي ((لا تتعاطف مع فاعلية الخيال الشعري، إلّا إذا كانت مقيّدة بقواعد ومعايير الفهم الثاقب، ومحافظة على علاقات الواقع الخارجي وتناسب أجزائه، ولا شكّ في أنّ مثل هذه النزعة ترفض الجنوح في التعبير الاستعاري، وتستهجن البُعد في الاستعارة)).[21]

وفي مقابل هذه المآخذ، لا نعدم العديد من الدراسات التي أنزلتها منزلها من الأهمّية، وموضعها الجوهري من الحضور الفعلي، هذا ما نلقاه لدى عبد القاهر الجرجاني (ت471ه)، الذي ((لم يقبل ما خلّفه السابقون، بل حاول أن يناقش، ويوازن، ويرفض ويقيّم ذلك كلّه، كان تصوّره للاستعارة أنضج من تصوّرات كثير من سابقيه)).[22]

وأخيرًا نرى أنّ الاستعارة تشكّل بناء الخطاب ومقاصده الحجاجية، نحو استدعاء المتلقّي إلى تلك المفارقة في التشكيل، وبهذا تسهم في بناء القول الحجاجي من مختلف النواحي الحجاجية: الاستدلال، التأثير، الإمتاع[23]، عبر ما تؤدّيه من فاعلية في انتاج المعرفة، وإدراك الحقيقة، وإنّها وسيلة تأثير في الجمهور، باستعمال وسائل خطابيّة، عبرَ البُرهان والعنف ووسائل تصبو إلى جعل المحتمل أكثر جاذبية، والاستعارة هذه إحدى هذه الصور البلاغية، بل أكثرها فعالية، في توخّي مرامي تلك المقاصد القصّية.[24]

ومن شواهد الاستعارة، ما جاء في خطبة السفاح، قال: **((وأنشأنا من آبائه، وأنبتنا من شجرته، واشتقّنَا من نبعَتِه[25]، جعله من أنفُسِنا، عزيزًا عليه ما عَنِتْنَا[26]))**.[27]

يتحدّث السفّاح في هذا الجزء من الخُطبة عن صلته بالنبيّ الكريم محمد (ﷺ)، وأنّ العبّاسيين قد اشتُقّوا من شجرته ونبعته، فنرى في هذا النصّ ثلاث استعاراتٍ متوالية، يتحلّق بعضُها برقابِ بعضٍ، لتؤسس لمعنى واحد مفاده رفعة النسب وأصالته، بوصفه ممتدًا إلى بيت النبوّة (عليهم السلام)، وأيّ فخرٍ يُدانيه، وهو ما فسّرته العبارات، (وأنشأنا، وأنبتنا، نبعته)، ولعلّنا نجد تعالق الاستعارة بالإنشاء، والشجرة، والنبعة، تعالقًا بمظاهر الطبيعة الغنّاء، الذي تداوله العرب إلى يومنا هذا، فيقولون: طيب المنبت، وشجرة النسب، وشرف الأصل، فذكر المشبّه (الشجرة والنبع)، وحذف المشبّه به، من قبيل الاستعارة المكنية، مع وجود قرينة لفظيّة، دالّة على إرادة المعنى المجازي المعتمد على علاقة المشابهة.

لقد أظهر الخليفة ـ عبر استعمال هذا اللون البياني ـ قدرته اللغوية الفنيّة الجمالية، وإمكانيّاته البلاغيّة التي تقدّم للمتلقّي صورة متكاملة من هذه الشخصيّة القادرة على توظيف البلاغة ضمن أنواعها البيانية المختلفة، للوصول إلى شخصيّة متكاملة أمام المتلقّي بالنسبة للخليفة.

ومن شواهد الاستعارة ـ أيضًا ـ خطبة أبي جعفر المنصور، ولمّا أخذ عبد الله بن حسن*، وإخوته، والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته، صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثمّ صلّى على النبيّ محمد (ﷺ)، ثمّ قال: **((ثمّ وثبَت عليه شيعته وأنصاره، وأصحابه، وبطانته وثقاته فقتلوه))**.[28]

نلحظ أنّ الاستعارة هنا في قول الخطيب: (وثبت عليه شيعتُهُ)، استعارة للفعل وثب من الأسد للانقضاض، بمعنى هجموا عليه، وشنّوا عليه الإغارة، هنا استعارة تصريحيّة تبعية، وفي قوله: (شيعته)، الشيعة هم الجماعة من الناس، ومن هنا يتبيّن لنا أنّ الخطيب شبّه الكلمة بالإنسان، الذي له العقل، فيفكّر ويختلف مع من يقابله، أو يتوافق معه، وهو ما أتى به المتكلّم عِبرَ مظهر الاستعارة المكنية، إذ أطلق المشبّه، وحذف المشبّه به، وهو الإنسان، ولكنّه ترك ما يدلّ عليه، ويُشير إليه، وهو معنى الاختلاف الذي لا يقع إلّا من الإنسان نفسه، وذلك على سبيل المجاز والتشبيه.

ومن شواهد الاستعارة ايضًا خطبة داؤود بن علي، إذ قال: **((التي بها استلذّوا تَسَرْبُل الأوزار، وتَجلبُب الآصار[29]، وَمَرَحُوا في أعنّة المَعاصِي، ورَكَضُوا في مَيادينِ الغَيّ))**.[30]

Diyala Journal For Human Research
Valum 4 Issue96- 2023
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الرابع العدد 96 لسنة 2023
djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

وظّف الخطيب الصورة الاستبدالية الاستعارية في ذمّ المذكورين وتقريعهم، بوصفهم الغارقين في المعاصي والآثام، والمبالغة في وصفهم (بتسربلِ الأوزار، وتجلبب الآصار) من الذنوب الكبار، وهي مفردة قرآنية جاءت بالإفراد.

وجاءت الصورة الاستعارية دالّة على الإحاطة والشمول لهم كما اللباس وشموله للجسد، ويستكمل تلك الصورة متداخلة مع صورة مجازية أخرى، موضحًا بها قصده في قوله: (ومرحوا في أعنّة المعاصي، وركضوا في ميادين الغيّ)، تمثّلت في اسناد الأعنّة للمعاصي، والميادين للغي، من أجل إبراز الصورة الموحية بحالهم من الإفراط والتفريط بحقّ أنفسهم، وحقّ الله (ﷻ).

ومن الشواهد أيضًا ما جاء في خطبة عيسى بن علي ـ عم السفاح ـ لمّا قُتِلَ مروان، قال: ((**وَأَمْسَكَتْ السّماءُ دَرَّهَا**[31]، **والأرضُ رَيْعَهَا، وقَحَلَ الضّرع، وجفز الفَيْنَق**[32]، **وأَسمَلَ جِلبابُ الدين، وأُبطِلت الحُدود، وأُهدِرتِ الدماء**)).[33]

نلحظ في هذه الخطبة صورة استعارية، إذ شخص السماء، وقد انقطعت عن المطر، الذي شبهه بالدُر في حُسنه وبهائه، وكذا الأرض الذي توقّف ينعِها في صورة جامعة لانقطاع الخير من السماء والارض، وهما صورتان متلازمتان من الاستعارة المكنية التشخيصيّة، ونجد أيضًا صورة الاستعارة التمثيلية بوساطة توظيف الخطـــــيب للمثل الشارد مرّتين في قوله:ـ

أخذ القوسَ باريها،

ورجعَ الحقّ إلى نصابِه،

للإشارة إلى استحقاق الخلافة للعبّاسيين، وعودتها إليهم بوصفهم الامتداد لنسب آل البيت (عليهم السلام) فهم أهلها والأولى بها.

لقد وظّف أبو العبّاس الصورة الاستعارية في قوله مخاطبًا قومه بعد قتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أميّة، فقال: ((**فَلْيُفرِخ رُوعكُم**[34]، **ولتطمئنّ به دارَكم، وليُقطَع مَصَارِع أوائلكم**)).[35]

نلحظ أنّ الخطيب قد أتى بكلمة (فَلْيُفرِخ رُوعكُم) استعارة من أفرخت البيضة، أي: خرج منها الفَرخ، بمعنى ان يخرج منكم الرَّوع، وهو الخوف الشديد، كما يخرجُ الفرخُ من البيضة، وهي دلالة على الاطمئنان بعد الخوف والفزع الشديد، الذي أصاب القلب، فعبّر عنه بـ ((الروع للقلب))، أي: ارتاع قلبه، وقد تُعتبر هذه الخطبة من الخُطب الحربية، التي ألقاها السفّاح في أهل الشام، بعد انتصار العباسيين على الأمويين في معركة (الزاب)، وقُتِلَ مروان بن محمد آخر خلفاء بني أميّة، غير أنّ الخُطب الحربية خَفَتَ صوتُها مع رُكود حركة الفتح، وضعف شوكة الأحزاب المعارضة في العصر العباسي، وإنْ كانت الحروب التي شهدها هذا العصر بين العباسيين والروم، أو بين العباسيين والخارجين عليهم، قد أطلق حـــافزًا لإلقاء الخُطب الحربية بين حين وآخر.

ومن شواهد الاستعارة ايضًا ما جاء في خطبة داؤود بن علي، وقد بلغه أنّ قومًا أظهروا شكاةً بني العباس، فافترع المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: ((**كلّا واللهِ حتّى تحملوا أوزاركم وأوزارَ الذينَ كانوا من قَبلِكم، كيف قامتْ شفاهُكم بالشـــكوى لأمير المؤمنين؟ بعد أن حانت آجالكم فأرجاها، وانبعثت دماؤُكم فَحَقَنَها**)).[36]

إنّ لغة التهديد والوعيد لم تكن بذلك التأثير، لو لم تأتِ بهذا الشكل التعبيريّ الاستعاريّ، الذي مدّها بطاقة حجاجيّة أكثر تأثيرًا وفاعليةً من القول المألوف، ففي قوله: (حتّى تحملوا أوزاركم وأوزارَ الذينَ كانوا من قَبلِكم)، صورة استعارية، استعار منها الحمل العادي للوزر، أي الذم، أو الذموم على سبيل التناصّ القرآنيّ.

فنرى أنّ الخطيب يُنكر عليهم فعلهم هذا، وقولهم بردّهم الجميل بالمكروه ونكرانه، وهذا ما ساعد الاستعارة على أداء البعد الحجاجي، المبني على بلاغة العنف، وقهقرة أهواء وأحاسيس المُخاطبين (الباتوس السلبي)، من أجل إنزال الإذعان في قلوبهم، بوساطة استراتيجية الترهيب في الخطاب.

ومن مواضع الاستعارة أيضًا ما جاء في خطبة المهدي حينما تولّى الخلافة، قال: ((**أرسلهُ بعد انقطاعِ الرّجاء، وطموس العلم، واقترابٍ من الساعة، إلى أمّة جاهليّة، مختلفة أمّية**)).[37]

يتحدّث الخطيب هنا عن النبيّ الكريم محمد (ﷺ) عندما أرسله الله سُبحانه وتعالى إلى أمّة العرب، بعدما كانَ فيها كلّ هذا الجهل والبُعد عن الحقيقة، وما يستوقفنا فيها قوله: (طُموس العلم)، إذ إنّ الواقع المعيش لا يُوصف العلم فيه بأنّه مطموس، فالطمس يكون لشيءٍ مادّي، ولكن الخطيب أتى بالعلم ههنا تشبيهًا له بشيءٍ مادّي، يُمكن أنْ يُطمس، ويُمكن أن يغيم عليه، فحذف المشبّه به، واستعار لفظ (طموس) للعلمِ من غير الإشارة إلى المُشبّه به، الذي هو محذوف من الكلام.

djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

وفي تكملة خطبته أيضًا قال: ((**فتناوشوا التوبة من مكانٍ بعيد**))[38]، يُمكن أن نتنبّه في هذا الموضع إلى قوله: (تناوشوا التوبة)، ليس فعلًا مخصصًا للتوبة، فكيف يُمكن للإنسان أن يتناوش التوبة، وهل التوبة تُناش؟ أراد الخطيب هنا إلى الإشارة إلى أنّهم بعيدون عن التوبة، وأنّها عنهم نائية، حتى أنّهم لا يكادون ينوشونها، فاستعار الفعل (تناوشوا) للتوبة، وهو ليس مُخصصًا لها، وإنّما هو تشبيه التوبة بالشيء المادّي البعيد، الذي يمكن أن يصلَ إليه الإنسان عبر التناوش.

وفي نهاية خطبته قال: ((**باختطاف الموتِ إيّاهم من بيوتكم**))[39]، فمن المنظور الحجاجي، تُعدّ الاستعارة تمثيلًا مكثفًا، حُذفت بعض أطرافه، أي بمعنى انّها تشبيه حُذف أحد طرفيه كما أسلفنا سابقًا؛ لأنّ حجاجيّتها لا بُدّ لها أن لا تكشف عن جميع عناصرها، وهذا ما وقع في هذه الخطبة، كما نلحظ انّ الموت ليس كائنًا مرئيًا كالبشر، مثلًا يُمكنه أن يختطف الانسان من مكان لآخر، بل هو شيء لا يراه الإنسان.

فنجد أنّ الخطيب أتى بلفظ (اختطف) استعارة ايّاه للموت، وكأنّ الموت كائنٌ قويٌّ يختطف الإنسان من موضعه ومكانه من دون أن يحسّ أو يشعر، ونرى أنّ هذا التعبير لم يأتِ من أجل غايات جمالية أو استعراضية، إنّما جاء ليؤكّد للمُخاطب الحثّ على الالتزام بتقوى الله وتعاليمه (ﷻ)، وأنّ الموت مكتوبٌ على كلّ إنسانٍ لا محالة، أو هو كالوحش الكاسر الذي يختطف الناس ويقضي عليهم، هذا كلّه مرتبطٌ بفكرة الاستعارة التي أتى بها الخطيب ضمن هذا السياق فحذف المشبّه به، وأبقى على المشبّه على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن ذلك أيضًا خطبة الامين، حين تفرّق عنه الأصحاب، وابتعد معاضديه، وأحسّ بالهزيمة، فقال: ((**وحُلولُ النوائبِ، وتوقّدُ المصائبُ**)).[40]

نجد أنّ الخطيب قد أتى بأسلوب استعاري لطيف، يحمل قوّة في المعنى، وتأثيرًا في المتلقّي، فقد استعمل الخطيب كلمة (النوائب)، وهي استعارة مكنية، فإنّ النوائب لا تحلّ على الإنسان حُلولَ البشر ومكوثهم، وإنّ المصائب لا تقِد على الإنسان كما هو حال وقد الناس عليه، فإنّه يُقال: وُقودُ الناسِ لا وُقودَ المصائب، ولكن ذلك وقع في هذه الخطبة من قبيل الاستعارة، حيث استعار الخطيب لكلمتي (النوائب والمصائب) لفظًا ليس من ألفاظها، بل لفظًا دالًا على شيءٍ آخر كالبشر مثلًا، فحذف المشبّه به وأبقى على المُشبّه، وذلك لمزيد من الصورة البيانية في ذهن المتلقّي، فكان الانزياح الاستعاري متنفسًا له في التعبير، فمن المعروف أنّ النوائب لا تحلّ، وأنّ المصائب لا تَقِد، ونرى هنا فعل التكثيف الاستعاري لفرض إنجاح الخطيب لفكرته، وتلك الصفات مستعارة من الإنسان.

ومن خطبة المأمون في يوم الجمعة، قال: ((**استعدّوا للموتِ فقد أظلّكم**)).[41]

فقد نرى أنّ المأمون استعار في هذه الجملة كلمة (للموت)، وهي ليست له في الحقيقة، وهي كلمة (أظلّكم)، فإنّ الظُلّة تكون للسحابة أو للشجرة التي يكون تحتها الظلّ، أمّا الموت فهو ليس كيان مادّي له ظلّة، غير انّ المأمون أتى بهذه الاستعارة لتحمل معنى قرب وقوع الموت بالناس، وإنّه لشدّة قربه صار كأنّه تحت ظلّه، وشبّه الموت بالسحابة أو الشجرة، ولكنّه حذف المشبّه به وأبقى على المشبّه من طريق الاستعارة المكنية.

لقد كانت الاستعارة بنوعيها التصريحيّة والمكنية أكثر ألوان البيان حضورًا في خطب الخلفاء العباسيين في العصر العباسي الأول؛ لِما لها من قيمة كبيرة في التأثير في المتلقّي، ولِما لها من دور في توضيح المعنى بطريقة ابداعية بيانية جمالية، وهو ما يسعى إليه كلّ أديب، من هنا كان الاهتمام بالاستعارة واضحًا في خطب الخلفاء العباسيين في هذا العصر، ويبقى بيننا وبين (بيرلمان) أمر، ففي الحقيقة إنّنا نُخالفه في تصوّراته العقلية للبلاغة، الذي لم ينظر بها إلى بعض الصور بوصفها مصدرًا للّذة والمُتعة، حتّى وإنْ كانت هذه الصور تخدم الجانب الحجاجي في الخطاب، فهو يغفل اللّذة الماثلة في بعض الصور الاستعارية، التي هي لذة مشتقّة من (الباتوس) كما يرى (ريبول)[42]، فالصورة في خطبة الحجاج كانت مفتاح القوة للتأثير، ولربّما كانت أكثر قوّة من الحجّة المكثّفة نفسها، إذ خاطبت الإدراك والشعور معًا، وخلّفت رؤية واضحة لدى المخاطبين عن طبيعة هذه الشخصيّة الدعوية، ورسّختها في أذهانهم، فضلًا عن مجيء الخطاب بشكل يدهش النفوس، ويؤثّر بمركزيّة قناعتهم وقراراتهم تجاه السلطة، لذا ممكن أن ينظر إلى بعض الصور الاستعارية نظرة حجاجية جمالية، بناءً على مدى تأثيرها في المتلقّي، لا نظرة جمالية محضة؛ لأنّها تهدف إلى خدمة حجاج الخطاب لتغيير قناعات المتلقين تجاه دعوى ما، أو قضية معينة، فيمكن أن نعدّها من

Diyala Journal For Human Research
Valum 4 Issue96- 2023
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الرابع العدد 96 لسنة 2023
djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

الإجراءات الحجاجية الجمالية المكثّفة للحجج الدافعة لإنجاز الفعل، أو الاستعداد للقيام به، بوصفها استدلالًا فاعلًا في النفوس من أجل الوصول إلى ما يُرام إليه من غايات ومقاصد وأهداف، تُمرّر من ورائها طروحات الخطيب وأفكاره، وإنزال الإقناع بها من قبل المُخاطبين.[43]

التجاوريّة:

أمّا الكناية فتختصّ بأنْ يُكنّى عن الشيء الذي هم بصدد الحديث عنه دون التصريح باسمه، بل إيجاد بعض الكنايات عنه، للوصول بالمعنى إلى الغايـــة المقصودة، عبر مظهر بياني لطيف بالنفس، لائقٌ بالكلام.[44]

وتقوم علاقات المجاورة أساسًا على الانحراف بالألفاظ عن طريق التركيب، إلى ألفاظ أخرى مجاورة لها في الدلالة، لكنّها أكثر إثارة للمشاعر والإيحاءات الدفينة أو الغائبة في منطقة اللاوعي، أي تجاوز المعنى الحقيقي الذي تقوم عليه إلى معنى آخر أكثر إضاءة وإيحاء، والعناصر أو الوسائل التي تتشكّل على وفق ذلك التوجّه متعددة، منها الرمز، وهناك من عدَّ الكناية رمزًا، والكناية ((هي الوسيلة الوحيدة التي تُيسّر للمرء أن يقول كلّ شيء، وأنْ يعبّر بالرمز والإيحاء عن كلّ ما يجول بخاطره))[45]، كما إنّ معرفة المعاني الكنائية إنّما تتأتّى عن طريق دلالة التراكيب اللفظيّة، والكناية إنّما هي وادٍ من أودية البلاغة، فيها من الحقيقة والمجاز، وهي تختصّ بجانب واحد من جوانب البيان، وتأتي الكناية لتحمل معنًى مجازيًا لا يمنع من إيراد المعنى الحقيقي في الكلام.

للكناية لونها الخاص بها، ولها مكانة فاعلة في البلاغة العربية، فهي ـ كما يقول العلوي (ت749ه) ـــ : ((لها في البلاغة موقع عظيم، فإنّها تُفيد الالفاظ جمالًا، وتُكسبُ المعاني ديباجةً وكمالًا، وتُحرّك النفوس إلى عملها، وتدعو القلوب إلى فهمها))[46]، ولا شكّ في انّ فاعليّتها لا تقلّ عن الأنماط السابقة (التشبيه والاستعارة)، وإنّها تُحدثُ أثرًا في المتلقّي؛ لِما تحمله من طاقات وإيحاءات مولّدة للخطابة.

وإنّ الكناية تحمل دلالة متداولة بين الناس في مجتمع مُحدد، ويفهمها المُخاطب المحدد، في إطار رؤية تداولية، تشتمل على المتكلّم والمخاطب وظروف الخطاب.

وقد اشتملت خُطب العصر العباسيّ على عددٍ ليس بقليل من الكنايات، وفيما يلي عرض لبعضها:

من شواهد الكناية خُطبة داؤود بن علي، بعد حمد الله والثناء عليه، قال مُخاطبًا الناس على سبيل النداء: ((**أيّها الناس: الآن أقشعت**[47] **حنَادِس الدُنيا، وانكشفَ غِطاؤُها، وأشرقَتْ أرضُها وسماؤُها، وطَلعَت الشمسُ من مَطلعها، وبزَغَ القمرُ من مَبزَغِه**)).[48]

يسجّل هذا النصّ من الخطبة تحققًا كنائيًا مكثفًا، يتمثّل في كنايات كثيرة لا كناية واحدة، إذ توالت هنا صور كنائية كثيرة، فقوله: (أقشعت حنادس الدنيا)، صورة كنائية عن صفة الظهور، واتفقت هذه الصورة مع عبارة (وأشرقت أرضها وسماؤها)، وتلاحمت أيضًا مع قوله (طلعت الشمس من مطلعها، وبزغ القمر من مبزغه)، دالّة على رجوع الحقّ إلى أهله وأصحابه، بعد غيابه مدّة طويلة، وكانت تلك الصور مثيرة للانتباه، ودالّة على المبالغة والثراء الذهني للمتلقّي في مشاركة واضحة للظواهر الكونيّة وتماهيّها، وقد تجتمع أكثر من كناية في نصٍّ من خُطبة، أو في بيت واحدٍ.

يؤكّد عبد القاهر حسن الظاهرة بخلاف النقد الغربي، الذي يستكره تجاور المصطلحات البلاغية في النصّ الواحد، فعبد القاهر حين يقول: تجاور الكنايات على المعنى الواحد لا يُوجب تناسبها، وقد يجتمع في البيت الواحد أو النصّ، أو الخُطبة كنايتان، المغزى منها شيءٌ واحد، ثمّ لا تكون إحداهما نظيرًا للأخرى.[49]

ومن شواهد الكناية ايضًا، خطبة السفّاح في الكوفة في الجمعة الثانية، فقال: ((**ولأعملنّ اللينَ حتّى لا تنفعَ إلّا الشدّة، ولأُغمدنّ السيفَ إلّا في إقامة حدٍّ أو بُلوغَ حقٍّ، ولأُعطينّكم حتّى أرى العطيّة ضياعًا، إنّ أهل بيت اللعنة والشجرة الملعونة في القرآن**)).[50]

نجد في خُطبة أبي العبّاس السفاح هذه أنّ الخطيب أراد أن يُبيّن قوّته وشجاعته بوصفه حاكمًا مُحنكًا، يرى ما ينفع الناس فيعمله فيهم بالعدل والحقّ، إضافة إلى بيان سياستهم في الرعيّة، والموازنة بين حكمهم وحكم بني أميّة، ومظالم الأمويين، ونرى في هذا

Diyala Journal For Human Research
Valum 4 Issue96- 2023
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الرابع العدد 96 لسنة 2023
djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

النصّ من الخطبة حرص العباسيين على شرعيّتهم بالخلافة ونظريّتهم بالحُكم، ريثما تثبت أركانهم بالسلطة، أمّا العمل بكتاب الله وسُنّة رسوله الكريم بوصفها دستورًا للحُكم، والسير بسيرة رسول الله، كما كان الأمر في عهد الخلفاء الراشدين أو عمر بن عبد العزيز في العصر الأموي، فلم نجده واقعًا حيًا في الدولة العباسية، إذ لم يكن الخليفة العباسي أقل من بني أميّة إقبالًا على متاع المُلك والسلطة والإسراف في الإنفاق والعطايا، وحسر ولاية العهد ببني العباس، خلافًا لمبدأ الشورى والاعتماد على سياسة القوّة والبطش في سبيل توطيد الحُكم، إذ كنّى عن الشجرة بشجرة الزقّوم التي أوعد الله بها المُشركين.

ومن شواهد الكناية أيضًا خُطبة خالد بن صفوان، يمدح رجلًا، فقال: ((**رَقيقُ الحَواشي، خَفيفُ الشَّفتين، جليلَ الرّيق، رحبَ الشرف، قليل الحركات، خفيّ الإشارات، حُلو الشمائل، حَسَنُ الطلاوة**)).[51]

إنّ الصورة الكنائية تكاد تكون ذات مغزى واحد ــ في بعض الأحيان ــ إلّا أنّ الخطيب المُبدع يغتنم الفرصة لاجتذاب المتلقّي من خلال تطوير الدلالة السياقيّة للكشف عن القيمة الجمالية لهذه الكناية، أو تلك، وقد نرى في هذا الجزء من الخُطبة أنّ الخطيب حاول إقرار حقيقة عمل ما من خلالها في الاستحواذ على ذهن المتلقّي، وشدّه لاستحضار التداعيات المترتّبة على الانزياح الكنائي، ومن اللافت للنظر انتقاء الكلمات التي تعاطاها الخطيب، والكيفيّة التي عبّر عنها، كانت سببًا لإنجاح فكرته، وقد أتت صورة المدح هنا في هذا النصّ على سبيل الكناية في وصف منطق الرجل، وصفه كلامه، فقد قال: (رقيق الحواشي)، وهي كناية عن رجل لطيف الصحبة، رغد، ناعم، وقد أتى بكلمة (حُلو الشمائل)، وهي كناية عن الكرم والجود، وقال أيضًا: (حُسن الطلاوة)، أي مثلثه (الحُسن ــ والبهجة ـ والقبول).

يتحدّث المنصور في هذا الموضع ايضًا موضع الكناية، كما كان من أبي مُسلم الخراساني، وخروجه على طاعة بني العبّاس، إذ قال: ((**إنّه من نازَعَنا عُروة هذا القميص أحرزناه خبّ هذا الغِمد، وإنّ أبا مُسلم بايعنا وبايعَ الناس لَنا، على انّه مَنْ نكثَ بِنا، فقد أباح دمهُ**)).[52]

نجد أنّ المنصور ذكر أنّ من نازعهم عروة هذا القميص، كان السيف مردّه إليه، ولكن ماذا قصدَ المنصور بالقميص هنا؟ يقصد المنصور بالقميص هنا (الخلافة)، فقد كنى عنها بالقميص، إذ إنّ من تولّى الخلافة كأنّه يرتدي قميصًا، فجعل هذه العبارة كناية عن موصوف وهي الخلافة، مع الإشارة هنا انّ هذا المعنى لا يمنع من إيراد المعنى الحقيقي، فلا يُخالف معنى المُنازعة على الخلافة في ارتداء قميص ما، ومحاولة انتزاعه منهم، فهذا لا يمنع من ذاك، وهو دأب الكناية، فإيراد المعنى المجازي فيها، لا يمنع من إيراد المعنى الحقيقي، إذ نرى في سياق هذا النصّ من الخُطبة صورة كنائية عن التعريض بأهليّتهم في السلطة، ونيلها بالقوّة والغصب.

ومن شواهد الكناية أيضًا خطبة أبي مُسلم الخراساني، فقال: ((**قومٌ آثروا العاجِلَ على الآجِلِ، والفَانِي على البَاقي، إنْ رُتِقَ جَوْرٌ رَتَقوه، أهلُ خُمورٍ وماخور، وطنابير**[53] ومزامير)).[54]

إنّها صورة كنائيّة عن تفضيلهم الدُنيا على الآخرة، جهلًا منهم، وظُلمًا لأنفسهم، وإنّ هذه الدُنيا بما فيها من المتاع والشهوات تُعيق الإنسان المُسلم عن السير إلى جنّات ربّه، وعن كلّ عملٍ صالحٍ يُقرّبُ منها، فقد أحبوا الدُنيا وتعلّقوا بها وبشهواتها، وبما فيها من المتاع، وفضّلوها على الآخرة، وقد أصبحت الدُنيا دارًا لهم، ونسوا دوار القرار (الدار الآخرة)، وقد قال: (قومٌ آثروا العاجلَ على الآجلِ)، وهي كناية عن الدُنيا التي حضرت وعجّلت لهم طيّباتها ولذّاتها، وغُيّبت عنهم الآخرة، فأخذوا العاجلَ وتركوا الآجلَ، وقد قال أيضًا: (إنْ رُتِقَ جُورٌ فتقُوه)، وهي كناية عن الظُلم والاستبداد، فهم يقومون بسدّ عُيوبهم بالظُلم.

نفهم من كلّ ما سبقَ ذكره بانّ الكناية عند أغلبِ الخلفاء العباسيين، قد تضافرت فيها كلُّ الحواسِ والملكات، ومن ثمّ ربطوا بينها، ليُثروا العواطف الأخلاقيّة، والمعاني الفكريّة، لبيان حقائق الأشياء، ومهما يكُن للحقائق والمعاني من شان، فإنّ اللغة التي تُصاغ فيها أثرًا في حُسنِ الإبانة، و((إنْ كانت في الظاهر هي الكلمات، ولكنّها تنطوي على كثير ممّا يُثير الحواس الظاهرة والباطنة،

Diyala Journal For Human Research
Valum 4 Issue96- 2023
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الرابع العدد 96 لسنة 2023
djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

وفيها ألوانٌ شتّى من التعبير، فمنها ما يكونُ قائمًا، ومنها ما يكونُ مُضيئًا، ومنها الشفاف، ومنها العَتِم، ومنها الرخو أو الصلب، ومنها الحسّي الصامت، ومنها ما يُشعُّ إلهامًا روحيًا، ووحيًا إلهاميًا)).[55]

وما لمسناه وأدركناه من كنايات خُطب خلفاء العصر العباسي، ما هي إلّا منفذ للخروج من الجو الفكري المألوف، أو الميدان الحسّي الرتيب، الذي تواضع عليه الناس، فهي تحقيق أهداف لغويّة، وفنّية، وفكريّة، ولا ننسى انّ الكناية مقياس ينمّ عن عبقريّة الخطيب؛ لأنّه يكون أمام معادلة بين الحقيقة والمجاز، فلا بُدّ من خطيبٍ مبدع لكي يُخلّص الحقيقة من زوايا الواقعيّة، باتجاه علاقات انزياحية، لا ينمّ ظاهرها عنها.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الماتعة في رحاب مظاهر البيان في الخطب المتعلّقة بالسلطة العباسية، وبعد الوقوف على أهم ما فيها من أثر بياني، نُدرج النقاط الآتية:

أولًا: كان للمشابهة أثرٌ فنيٌّ بالغ، إذ مثّلت هذه العلاقة في هذا النموذج من الخُطب طريقًا للتوضيح والإبانة عمّا يُريد الخطيب من معاني وأفكار، تبلّغ للمتلقي بأوضح ما يكون، فكانت المشابهة هي الرائد والدافع لبيان تلك الأفكار التي جاءت مباشرة لذهن المتلقي، أو بخطاب مباشر لا يحتمل الّا التنفيذ، ويحثّ المتلقّي على الفعل المعيّن المحدد، أو الترغيب أو الترهيب، وعندئذٍ كان لون التشبيه في هذا النوع من الخطب لونًا مغايرا لما تكون عليه آلية التشبيه في مواضع أخرى، وهو تشبيه يعمد فيه الخطيب إلى مباشرة الغرض.

ثانيًا: كانت ظاهرة التبادلية وإعارة الشيء أو المعنى لغيره، دافعًا لدى الخطيب، إذ يلجأ فيه إلى بيان الفكرة، دون الخوض في كلام كثير، أو الإطالة، أو الإطناب، فهو يُعبر المعنى لمعنى آخر، إرادة البيان بأقل عبارة، وأكثفها معنى، دون الخوض في حيثيّات أخرى، فكان هذا التداخل التبادلي تكثيفًا للمعنى، وتحميلًا للفظ الواحد أكثر من معنى، ومن هنا كانت خطب هذا النوع خطب مكثّفة، وهي من جوامع الكلم.

ثالثًا: مثّلت الكناية ملمحًا فنيًا وبيانيا مؤثرًا لدى الخطيب في هذه المرحلة، وبهذا النوع من الخطب، ذلك أنّها كانت بعيدة عن التلميح، وإنّما على خلاف ما يقوم عليه نوعا الكناية (التلويح، والتعرض)، ولم يلجأ الخطيب إلى هذين النوعين من أنواع الكناية، وإنّما الكناية لديه وظيفة فنيّة مؤثرة مباشرة للمعنى، فيها المدح تارة، وفيها الذم تارة أخرى، فهو لا يعرض ولا يحمل المتلقي على أن يحثّ ذهنه ليتأمل الفكرة، وغنّما هو يفهم المعنى مباشرة، ولكن بطريق الكناية، ومن هنا كانت الكناية أشدّ تأثيرًا من مباشرة المعنى عند المتلقي، ذلك لأنّها تحمل في طياتها دعوة مقرونة بالدليل.

رابعًا: مثّلت الخطبة في هذه المرحلة موعظة بليغة، ولم تكن هذه البلاغة بعيدة عن مظاهر البيان الثلاثة التي ذكرناها، ومن هنا فقد احتاج الخطيب إلى تفعيل تلك المظاهر، حتى يداعب الاذهان، ويأتي بالجديد المعنى المبتكر، ولا شكّ أنّ مظاهر البيان تتحمل ذلك كلّه، وتعين الخطيب على بيان الفكرة التي يريد بأوضح عبارة، وأكثرها تكثيفًا وتأثيرا في المتلقي.

Diyala Journal For Human Research
Valum 4 Issue96- 2023
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الرابع العدد 96 لسنة 2023
djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

توظيف مظاهر البيان في سياق خطب السلطة العباسية

معلومات الباحثين وعناوينهم

ا0م0د0باسم محمد ابراهيم	زينب علي شعبان
جامعة ديالى كلية التربية للعلوم الانسانية	

عناوين الاتصال

basem.moh@uodiyala.edu.iq
zaineb.95@uodiyala.edu.iq

الكلمات المفتاحية: توظيف، بيان، السلطة

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص

جاء عنوان بحثي (توظيف مظاهر البيان في سياق خطب السلطة العباسية)، ليتحدّث عن هذا النموذج من الخُطب التي شاعت في ذلك الوقت، والتي كانت على شكل أوامر ونواهي ومواعظ جليلة من الحاكم إلى المحكومين، أو من الخليفة إلى الرعية، وعندئذٍ كانت تمثلات بيانيّة، هذه التمثلات البيانية ظهرت في ثلاثة أضربٍ من البيان، وهي: (المشابهة، والعلاقة التبادلية، والعلاقة التجاورية)، ثمّ إنّ الخطيب كانت له أدوات، وهي التي ذكرنا، هذه الأدوات يُبيّن فيها المعنى، ويُظهر فيها أفكاره، ثم إنّه يُضفي على الخطاب المباشر، الذي كان ملمحًا عند الخطيب في هذا النوع من الخُطب، مظهرًا بيانيًا، وملمحًا تكثيفيًا، وإثارة لدى المتلقّي، ومن هنا جاءت المظاهر البيانية لبلوغ هذا القصد، وهو التأثير في المتلقّي، فالخطاب المباشر لا يكون مؤثرًا ما لم يكن متضمنًا مظاهر البيان التي ذكرنا، وعندئذٍ جاءت هذه المظاهر موظفة عند الخطيب في خطبه التي تجعل من هذه الخطب مؤثرة وقوية ومقنعة حتى تبلغ في المتلقي درجة من القبول أحيانًا، مع أنّها ذات ثوب فني قشيب، له من التأنق والجمالية ما يحمل المتلقي على التأثّر .

Diyala Journal For Human Research
Valum 4 Issue96- 2023
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الرابع العدد 96 لسنة 2023
djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

(1) لسان العرب: 503/13- 504.
(2) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: 168/2.
(3) المصدر نفسه: 168/2-173.
(4) خصائص الأسلوب في شعر البحتري:265.
(5) ينظر: علوم البلاغة- البيان- المعاني- البديع: 401.
(6) ينظر: جواهر البلاغة:510.
(7) ينظر: كتاب الصناعتين: 239.
(8) كهفه: الكهف: الوزر والملجأ. لسان العرب: 704.
(9) جمهرة خطب العرب: مج6/3.
(10) جمهرة خطب العرب: مج8/3.
(11) المصدر نفسه: مج 12/3.
(12) العقد الفريد190/4.
(13) العقد الفريد: 190/4.
(14) جمهرة خطب العرب: مج28/3.
(15) الهامة: رأس كلّ شيء. لسان العرب، (حرف الهاء): 624/12.
(16) العرنين: الأنف، أو ما صلُبَ من عظمه، ومن كلّ شيءٍ أوّله. لسان العرب: 283/13.
(17) في الأصل (أمما)، واللمم: جمع لِمّة بكسر الكسر، وهي الشعر المجاور شحمة الأذن. لسان العرب، (حرف اللام): 294.
(18) جمهرة خُطب العرب: 23/3.
(19) ينظر: الأدب العباسي (النثر): 110-111.
(20) العمدة: 268/1.
(21) الصورة الفنية: 222.
(22) المصدر نفسه: 233.
(23) ينظر: مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: 112.
(24) ينظر: الخطاب وفائض المعنى، نظرية التأويل: ريكول بول: 87.
(25) النبع في الأصل: شجر القسي والسهام. تاج العروس: 440/2.
(26) العنت بالتحريك: دخول المشقّة على الإنسان. لسان العرب: 295/10.
(27) جمهرة خُطب العرب: 7/3.
* هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وقد حمله المنصور هو وأهل بيته، من المدينة إلى العراق سنة (144ه)، وألقاهم في غيابات السجون حتّى ماتوا بسجن الكوفة، وكان يتخوّف أن يغلبه على الخلافة محمد بن عبد الله (وهو الملقب بالنفس الزكية)، وقد خرج عليه بالمدينة، فوجّه المنصور جيشًا لقتاله، فقتل سنة 245م، وخرج أخوه إبراهيم فوجّه إليه المنصور جيشًا لقتاله، وقتل سنة (145ه)، وخرج أخوه إبراهيم على المنصور بالبصرة، فقتل أيضًا في نفس السنة. ينظر: تاريخ الخلفاء: 10.
(28) جمهرة خطب العرب: 22/3.
(29) الآصار: جمعُ إصر، وهو الذنب. لسان العرب: 233/1.
(30) جمهرة خطب العرب: مج9/3.
(31) الدَّرّ: المَطر. لسان العرب: 91/14.
(32) الحفز: سرعة المشي، الفينق: الفحل المكرم، لا يُؤذى لكرامته على أهله ولا يُركب. تاج العروس: 341.
(33) جمهرة خطب العرب: مج13/3.
(34) الرّوع: بالضمّ القلب، أو موضع الفزع منه، والرَّوع بالفتح: الفَزَع. لسان العرب: 258/6.
(35) جمهرة خطب العرب: مج13/3.
(36) جمهرة خطب العرب: مج16/3.
(37) العقد الفريد: 190/4.
(38) العقد الفريد: 190/4.
(39) المصدر نفسه: 191/4.
(40) تاريخ الرسل والملوك: 494/8.
(41) عيون الأخبار: 277/2.
(42) ينظر: في بلاغة الحجاج: 290.
(43) ينظر: بلاغة الحجاج في العصر الأموي: 294.
(44) ينظر: كتاب الصناعتين: 368.

Diyala Journal For Human Research
Valum 4 Issue96- 2023
مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
المجلد الرابع العدد 96 لسنة 2023
djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

- **جمهرة خُطب العرب في عصور عربية زاهرة، العصر العباسي الأول:** أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1934م.
- **جواهر البلاغة:** أحمد هشيم، دار الفقري، بيروت، (د. ط)، 1994م.
- **خصائص الأسلوب في شعر البحتري:** د. وسن عبد المنعم ياسين الزبيدي، منشورات المجمع العلمي، مطبعة المجمع العلمي، (د. ط)، 1432ه – 2011م.
- **دلائل الإعجاز**: أبي بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت471ه)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1413ه – 1993م.
- **الصورة الفنية:** جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992م.
- **العقد الفريد**: ابن عبد ربّه، أبو عمرو أحمد بن محمد ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1404ه.
- **علوم البلاغة- البيان- المعاني- البديع:** أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1414ه – 1993م.
- **عيون الأخبار**: ابن قتيبة الدينوري، المكتب الاسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413ه.
- **في بلاغة الحجاج**، نحو مقاربة بلاغية حجاجيّة لتعليل الخطابات: محمد ميشال، كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2017م
- **كتاب الصناعتين**: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1419ه.
- **لسان العرب:** ابن منظور، جمال الدين بن محمد بن مكرم الأنصاري (ت711ه)، اعتنى

(45) خصائص الأسلوب في شعر البحتري: 345.
(46) خصائص الأسلوب: 346-347.
(47) أقشعت: قشعت الريحُ السحاب: كشفته، كأقشعته فأقشع، وانقشع وتقشّع، والحنادس جمع حِندس. لسان العرب: 210/6.
(48) جمهرة خطب العرب: مج3/8.
(49) ينظر: دلائل الإعجاز: 312.
(50) جمهرة خطب العرب: مج3/ 12.
(51) المصدر نفسه: مج3/25.
(52) جمهرة خطب العرب: مج3/31.
(53) الطنابير: جمع طنبور:، كـ (عُصفور)، وهو الذي يُلعبُ به. لسان العرب: 214/4.
(54) جمهرة خُطب العرب: مج3/ 20.
(55) البلاغة والتطبيق: 378.

المصادر والمراجع

- **الأدب العباسي (النثر):** حامد صادق قنيبي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د. ط)، 2008م.
- **بلاغة الحجاج في العصر الأموي**: عبد الله محمد عبد الله السلطاني، (د. ط)، 1442ه – 2021م.
- **البلاغة والتطبيق:** أحمد مطلوب، وكامل حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط2، 1420ه – 1999م.
- **تاج العروس:** محمد مرتضى الزبيدي، اعتنى به: د. عبد المنعم دليل إبراهيم، وكريم سيد محمد محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1971م.
- **تاريخ الخلفاء:** جلال الدين، عبد الرحمن السيوطي (ت911ه)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1424ه – 2003م.
- **تاريخ الرسل والملوك**: محمد بن جرير الطبري (ت310ه)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط5، 1998م.

djhr.uodiyala.edu.iq
p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838
IRAQI Academic Scientific Journals

بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1419ه ــ 1999م.

- **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**: أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1427ه – 2006م.
- **مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج**: عشير عبد السلام، أفريقيا، الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (د. ط)، 2006م.
- **نظرية الخطاب وفائض المعنى**: بول ريكر، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، (د. ط)، 2003م.